مداخلة

توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تطوير مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية: دراسة نظرية

اعداد الباحث حسوني محمد عبد الغني

ملخص

أصبح الذكاء الاصطناعي من أكثر التحولات التقنية تأثيرًا في البيئة الأكاديمية المعاصرة، ولم يعد حضوره مقتصرًا على العلوم الدقيقة أو المجالات التقنية، بل امتد إلى العلوم الإنسانية بما تتيحه تطبيقاته من إمكانات في جمع المصادر، ومعالجة النصوص، وتنظيم البيانات، والتحليل الدلالي، والاسترجاع الذكي للمعلومات. غير أن هذا التحول، على أهميته، يطرح أسئلة منهجية وأخلاقية تتعلق بحدود الاعتماد على هذه التطبيقات، وبموقع الباحث الإنساني داخل عملية إنتاج المعرفة. تنطلق هذه المداخلة من إشكالية مفادها: كيف تسهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تطوير مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية، وما الضوابط المنهجية والأخلاقية التي ينبغي مراعاتها عند توظيفها؟ وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بغرض تأصيل العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والبحث الإنساني، وبيان أوجه إسهامه في تطوير المناهج البحثية، مع إبراز حدوده ومخاطره. وتخلص المداخلة إلى أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يمثل أداة قوية لتطوير البحث في العلوم الإنسانية إذا استُخدم بوصفه معينًا منهجيًا خاضعًا للنقد البشري، لا بديلًا عن التفكير العلمي أو الحكم التأويلي للباحث.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، مناهج البحث العلمي، العلوم الإنسانية، التحليل النصي، الأخلاقيات الأكاديمية، النزاهة العلمية.

مقدمة

يشهد البحث العلمي اليوم انتقالًا نوعيًا بفعل التوسع السريع في استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي، خاصة بعد انتشار الأدوات التوليدية وأنظمة المعالجة اللغوية وتحليل البيانات. وقد أصبح هذا التحول أكثر وضوحًا في ميادين العلوم الإنسانية، حيث تتعامل البحوث مع نصوص وخطابات ووثائق ومعطيات نوعية تحتاج إلى الجمع والتحليل والتصنيف والتأويل. وفي هذا السياق، لم يعد السؤال منصبًا على إمكان استخدام الذكاء الاصطناعي من عدمه، بل على كيفية توظيفه علميًا داخل مناهج البحث، وعلى الحدود التي ينبغي ألا يتجاوزها حتى لا يضعف البناء المعرفي النقدي للباحث. وتؤكد اليونسكو أن أول معيار عالمي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، المعتمد سنة 2021، يقوم على حماية الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان والشفافية والإنصاف والإشراف البشري، كما يضع مجالات سياسات عملية تشمل التعليم والبحث وحوكمة البيانات. وتؤكد OECD أيضًا أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يحسن الأداء في بعض المهام، لكنه لا يؤدي بالضرورة إلى تعلم حقيقي أو اكتساب مهارات إذا استُخدم من دون توجيه تربوي ومنهجي واضح.

وتكتسب هذه المداخلة أهميتها من كونها تعالج موضوعًا يتصل مباشرة بتطوير مناهج البحث في العلوم الإنسانية، لا بمجرد استخدام أدوات رقمية مساعدة. فالمسألة لا تتعلق فقط بسرعة الوصول إلى المعلومات أو تلخيص النصوص، بل بإعادة تشكيل خطوات البحث العلمي نفسها: من اختيار الموضوع وصياغة الإشكالية، إلى بناء corpus النصوص، ثم تحليل المعطيات، فالتفسير والتركيب والاستنتاج. ومن هنا تطرح المداخلة الإشكالية الآتية: إلى أي مدى تسهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تطوير مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دون الإخلال بمتطلبات الأصالة العلمية والنقد المنهجي؟ ويندرج تحت هذه الإشكالية عدد من الأسئلة الفرعية: ما طبيعة هذا التطوير؟ ما أبرز التطبيقات المؤثرة فيه؟ ما حدوده؟ وما ضوابطه الأخلاقية والمنهجية؟ وتعتمد المداخلة المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستناد إلى مصادر مؤسساتية دولية قوية، ودراسات أكاديمية حديثة،

ومذكرات جامعية جزائرية تكشف واقع الاستخدام واتجاهات الباحثين والطلبة والأساتذة.

أولًا: الذكاء الاصطناعي وتحول الأدوات المنهجية في العلوم الإنسانية

يقوم البحث في العلوم الإنسانية تقليديًا على جهد تراكمي يجمع بين القراءة النقدية، والفهم السياقي، والتحليل المقارن، والتأويل، واستخلاص الدلالة من النصوص أو الوقائع أو الظواهر الاجتماعية والثقافية. غير أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي أدخلت على هذا البناء أدوات جديدة، منها البحث الدلالي، والتحليل النصي الآلي، واستخراج الكيانات، والتصنيف الذكي، والتلخيص، واكتشاف الأنماط في المدونات النصية الكبيرة. وهذه الأدوات لا تغير فقط سرعة الإنجاز، بل تؤثر في بنية المنهج ذاته، لأنها تسمح بالانتقال من المعالجة اليدوية المحدودة إلى معالجة واسعة النطاق للنصوص والوثائق والمعطيات. وتشير دراسة منشورة في Humanities and Social Sciences Communications إلى أن الذكاء الاصطناعي بات يؤثر بوضوح في الاتصال العلمي، وإدارة المعرفة الرقمية، والاسترجاع الأكاديمي للمعلومات، خاصة عبر الفهرسة الوصفية الآلية، وأنظمة التوصية، وتحليل الاستشهادات، والاستخراج الذكي للبيانات الوصفية.

ومن هذه الزاوية، يمكن القول إن الذكاء الاصطناعي يطوّر مناهج البحث في العلوم الإنسانية على مستويين: مستوى إجرائي يتمثل في اختصار الزمن وتحسين الوصول والتنظيم؛ ومستوى تحليلي يتمثل في فتح إمكانات جديدة لفهم النصوص والوثائق والبيانات المعقدة. ولا يعني هذا أن الذكاء الاصطناعي صار منتجًا مستقلًا للمعرفة الإنسانية، بل الأصح أنه أصبح عنصرًا مساعدًا في بناء بيئة بحثية أكثر قدرة على الاستكشاف الأولي والاسترجاع المنظم. وتؤكد OECD أن الاستفادة

الفعلية من الذكاء الاصطناعي لا تتحقق بمجرد إنجاز المهمة بنجاح، لأن الأداء المرتفع قد يخفي غياب التعلم الحقيقي أو ضعف الاكتساب المعرفي إذا جرى تفويض الجهد العقلي بصورة مفرطة إلى النظم الذكية.

ثانيًا: مجالات توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تطوير مناهج البحث العلمي

أول مجال يظهر فيه أثر الذكاء الاصطناعي هو مرحلة بناء المادة العلمية. فقد صار الباحث قادرًا، عبر أدوات الذكاء الاصطناعي، على جمع الأدبيات الأولية، واستخراج الكلمات المفتاحية، وتصنيف النصوص، وترتيب النتائج، واكتشاف الروابط الموضوعية بين المراجع. وهذا ينعكس مباشرة على بناء الإطار النظري والدراسات السابقة وصياغة الفرضيات الأولية. وتكشف دراسة جامعية حديثة بجامعة 8 ماي 1945 قالمة أن طلبة الماستر أظهروا اتجاهات إيجابية نحو استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المهام البحثية، خاصة في جمع المعلومات وترجمة النصوص ودعم مراحل مختلفة من العمل العلمي، مع بقاء التخوف من موثوقية بعض المخرجات.

ويظهر المجال الثاني في تحليل النصوص والبيانات النوعية، وهو مجال حاسم في العلوم الإنسانية. فالذكاء الاصطناعي يتيح للباحث تحليل corpora كبيرة من النصوص، والكشف عن الموضوعات المتكررة، والعلاقات بين المفاهيم، والاتجاهات الخطابية، والتغيرات الدلالية، وأحيانًا بناء تمثيلات أولية للشبكات الفكرية أو التاريخية أو الثقافية داخل النصوص. وتوضح الدراسة المنشورة سنة 2026 في Humanities and Social Sciences Communications أن البحث العالمي في تقاطع الذكاء الاصطناعي مع الإنسانيات وعلم المعلومات يتركز بقوة في الاسترجاع الآلي للمعلومات، والتنظيم المعرفي، والتحليل الببليومتري،

والتصنيف الذكي، وأن هذا التحول بات يعيد تشكيل أنظمة الوصول إلى المعرفة وإدارتها داخل البيئة الأكاديمية.

أما المجال الثالث فيتعلق بـ تنظيم المعرفة والتحقق الأولي. فتطبيقات الذكاء الاصطناعي تساعد في بناء خرائط موضوعية، وتقسيم المحتوى، وتوليد تصورات أولية عن الفجوات البحثية، واقتراح مسارات للمقارنة، وصياغة أسئلة مساعدة. وهنا تكمن قيمتها المنهجية الحقيقية: ليس في أن تكتب البحث بدل الباحث، بل في أن تساعده على إعادة ترتيب المواد، واكتشاف العلاقات، وتحسين إدارة المشروع البحثي. ولهذا فإن التطوير المنهجي لا يكون بتسليم زمام التحليل للآلة، بل بحسن إدماجها في مراحل محددة من العمل الأكاديمي. وتشير أعمال OECD إلى أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يعمل أحيانًا كـ"مدرس" أو "شريك" أو "مساعد"، لكن فاعليته ترتبط بمبادئ استخدام واضحة، وإلا تحوّل إلى أداة لتعزيز الأداء الظاهري دون بناء تعلم أو فهم حقيقي.

ثالثًا: القيمة المضافة منهجيًا في العلوم الإنسانية

إن أبرز ما تضيفه تطبيقات الذكاء الاصطناعي إلى مناهج البحث في العلوم الإنسانية هو التوسيع المنهجي لمجال الرؤية. فالدارس الذي كان مضطرًا إلى الاكتفاء بعينات نصية محدودة بسبب كثافة المادة، صار قادرًا على معالجة مجموعات أوسع من النصوص والوثائق. وهذا يفتح الباب أمام دراسات أكثر شمولًا في التاريخ، وتحليل الخطاب، واللسانيات، والدراسات الثقافية، وعلم المكتبات والمعلومات. كما أن الذكاء الاصطناعي يعزز إمكان المقاربة البين-تخصصية، لأن أدواته تشتغل على أنماط متنوعة من البيانات: نصوص، صور، وصف بيانات، استشهادات، أرشيفات رقمية.

ومن جهة ثانية، يسمح الذكاء الاصطناعي بتطوير ما يمكن تسميته بالمنهج المساعد؛ أي ذاك المستوى من العمل المنهجي الذي لا ينتج المعرفة النهائية مباشرة، ولكنه يهيئ شروطها: الفرز، والتنظيم، والاسترجاع، والتصنيف، والتلخيص الأولي، والكشف عن التشابه والتكرار، وتحديد مفاصل النصوص. وهذه الأعمال كانت تستهلك جزءًا كبيرًا من الوقت البحثي، خصوصًا في البحوث الإنسانية التي تعتمد على تراكم النصوص وتنوعها. وفي السياق الجزائري، تُظهر دراسة قالمة لسنة 2025 أن الطلبة يرون في تطبيقات الذكاء الاصطناعي عنصرًا مساعدًا لتحسين جودة البحث، لا سيما في جمع المعلومات وترجمة النصوص، وهو ما يؤكد وجود تحول فعلي في الممارسات البحثية الجامعية.

ومع ذلك، فإن القيمة المضافة لا ينبغي المبالغة فيها. فحتى الدراسات الإيجابية تؤكد أن الاستفادة من الذكاء الاصطناعي مشروطة بوجود إشراف بشري، ومهارات نقدية، وثقافة منهجية. فمراجعة منهجية حديثة حول أثر ChatGPT على التفكير النقدي في التعليم العالي خلصت إلى أن الأدوات الذكية قد تساعد في الوصول السريع إلى وجهات نظر متعددة، ودعم التحليل وبناء الحجج، لكنها قد تعرقل الدافعية إلى التأمل الذاتي والتقييم النقدي إذا حدث اعتماد مفرط عليها. كما أشارت المراجعة نفسها إلى أن البحث في تأثير الذكاء الاصطناعي داخل العلوم الإنسانية والاجتماعية ما يزال أقل اتساعًا من البحث في المجالات الأخرى، مما يجعل الحاجة قائمة إلى مزيد من الدراسات المتخصصة.

رابعًا: التحديات المنهجية والأخلاقية

أول التحديات هو إشكالية الموثوقية العلمية. فالتطبيقات التوليدية قد تنتج نصوصًا مقنعة من حيث الشكل، لكنها تتضمن أخطاءً مفهومية أو إحالات غير دقيقة أو معلومات ملفقة. وهذا يهدد صميم البحث الإنساني الذي يقوم على التثبت من المصادر ودقة العزو وسلامة الفهم. ومن ثم فإن استخدام هذه الأدوات داخل منهج البحث لا ينبغي أن يتجاوز دور المساعد الذي تُراجع مخرجاته بدقة. وتؤكد اليونسكو أن الشفافية، والقابلية للتتبع، والمساءلة، والرقابة البشرية، عناصر أساسية لضمان الاستخدام الأخلاقي للذكاء الاصطناعي.

والتحدي الثاني هو إضعاف البعد النقدي. فالعلوم الإنسانية لا تُختزل في استخراج المعلومات، بل تقوم على التأويل والمقارنة والنقد وفهم السياقات. وإذا تحوّل الذكاء الاصطناعي إلى بديل عن القراءة المتأنية أو عن بناء الحجة أو عن الجهد التأويلي، فإن المنهج نفسه يضعف. ولهذا تحذر OECD من أن تفويض المهام المعرفية إلى أدوات الذكاء الاصطناعي قد يؤدي إلى "كسل ما وراء معرفي" وإلى انفصال بين النجاح في إنجاز المهمة وبين تحقق التعلم الحقيقي. كما تذهب بعض الأدبيات الحديثة في بناء الثقافة النقدية للذكاء الاصطناعي إلى أن المطلوب ليس فقط تعليم استخدام الأدوات، بل أيضًا تدريب الباحثين على مساءلتها وتحليل افتراضاتها وحدودها.

أما التحدي الثالث فهو النزاهة الأكاديمية والملكية الفكرية. فاستعمال الذكاء الاصطناعي في إعادة الصياغة، أو في إنتاج مقاطع كاملة، أو في إعداد أجزاء من البحث دون إفصاح، يثير مشكلات تتعلق بأصالة العمل العلمي ونسبة الجهد إلى صاحبه. وتؤكد مراجعة حديثة حول النزاهة الأكاديمية في عصر ChatGPT أن مواجهة هذا التحدي لا تكون فقط بأدوات الكشف، بل أيضًا بإعادة تصميم التقييمات والمهام البحثية نحو ما هو شفهي، وتطبيقي، ومفتوح، ويعتمد على التفكير النقدي الشخصي والبناء الحجاجي الأصيل. وتفيد هذه الأدبيات أن الامتحانات الشفهية،

والمشروعات الواقعية، والمهام التحليلية المفتوحة، تقلل من إساءة استخدام الذكاء الاصطناعي وتعزز المشاركة المعرفية الأصيلة.

خامسًا: نحو توظيف رشيد للذكاء الاصطناعي في مناهج البحث الإنساني

إن تطوير مناهج البحث في العلوم الإنسانية بواسطة الذكاء الاصطناعي يقتضي تبني رؤية متوازنة تقوم على عدة مبادئ. أولها: المركزية المنهجية للباحث؛ بمعنى أن يبقى هو صاحب القرار في بناء الإشكالية، واختيار العينة، وتأويل النتائج، وتقويم المخرجات. ثانيها: الإفصاح العلمي عن حدود استخدام الأدوات الذكية داخل العمل البحثي متى استوجب ذلك. ثالثها: التكوين في الثقافة النقدية للذكاء الاصطناعي، بحيث لا يقتصر الأمر على تعلم الاستخدام التقني، بل يشمل فهم المخاطر والانحيازات وطرق التحقق. رابعها: ربط هذه الأدوات بقواعد أخلاقيات البحث، خاصة في ما يتعلق بالدقة، والشفافية، وعدم الإضرار، والخصوصية، والحقوق الفكرية. وهذه المبادئ تنسجم مع الإطار المعياري الذي تقترحه اليونسكو، ومع التوجهات الحديثة في OECD التي تشدد على الاستخدام المسؤول لا الاستخدام الانبهاري.

وفي السياق الجامعي العربي والجزائري، يبدو من الضروري الانتقال من مجرد الاستخدام الفردي المتفرق إلى سياسات مؤسسية واضحة تضبط التوظيف الأكاديمي للذكاء الاصطناعي. وتفيد الدراسات الجزائرية الحديثة بوجود اتجاهات إيجابية لدى الطلبة والباحثين نحو استخدام هذه التطبيقات، لكنها تكشف في الوقت نفسه عن استمرار القلق من الموثوقية، وغياب سياسات أكاديمية تفصيلية، وتأثير هذه الأدوات على الإبداع والجهد الشخصي. وهذا يعني أن تطوير مناهج البحث لا يتحقق تلقائيًا بوجود الأدوات، بل يحتاج إلى تأطير تربوي ومنهجي ومؤسساتي.

خاتمة

يتضح من خلال هذه المداخلة أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي تملك قدرة حقيقية على تطوير مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية، لكن هذا التطوير ليس آليًا ولا مطلقًا. فإسهامها الأبرز يظهر في تحسين بناء المادة العلمية، وتوسيع إمكانات التحليل النصي، وتعزيز الاسترجاع والتنظيم والمعالجة الأولية للمعرفة. غير أن القيمة المنهجية لهذه التطبيقات تبقى مشروطة بإدماجها داخل سيرورة بحثية يقودها الباحث، لا داخل سيرورة مفوضة بالكامل إلى الآلة. كما أن المخاطر المرتبطة بالموثوقية، والنزاهة الأكاديمية، وإضعاف التفكير النقدي، تجعل من الضروري تبني نموذج استخدام رشيد، يقوم على الإشراف البشري، والشفافية، والتكوين في الثقافة النقدية للذكاء الاصطناعي، وربط كل ذلك بأخلاقيات البحث العلمي. وعليه، فإن مستقبل الذكاء الاصطناعي في العلوم الإنسانية لا ينبغي أن يُفهم باعتباره إحلالًا للآلة محل الباحث، بل باعتباره إعادة تشكيل لأدوات المنهج تحت سلطة العقل النقدي الإنساني.

المصادر والمراجع

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، توصية بشأن أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، 2021.

منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، OECD Digital Education Outlook 2026: Exploring Effective Uses of Generative AI in Education، 2026.

منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، Artificial intelligence، صفحة السياسات والمبادئ المحدثة، 2026.

Peng, Bo & Li, Du، Artificial intelligence in digital media, humanities, and information science: a multidimensional analysis of research trends and user perceptions، Humanities and Social Sciences Communications، 2026.

Melisa, Rahyuni وآخرون، Critical Thinking in the Age of AI: A Systematic Review of AI's Effects on Higher Education، 2025.

Ensuring academic integrity in the age of ،Evangelista, EDL ChatGPT: Rethinking exam design, assessment strategies, and .2025 ،ethical AI policies in higher education

Building Critical AI Literacy: An Approach to ،Conrad, K. .2025 ،Generative AI

رفيف سليماني، آية ولجاوي، سيف الدين رحال، اتجاهات طلبة قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات نحو استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المهام البحثية، مذكرة جامعية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2025.

استخدام منصات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي لدى طلبة التكوين في الطور الثالث بقسم العلوم الإنسانية بجامعة محمد خيضر بسكرة: منصة شات جي.بي.تي أنموذجًا، جامعة محمد خيضر بسكرة.

اتجاهات الباحثين الجزائريين نحو استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في البحوث العلمية، مقال علمي، 2024.

زعابطة سيرين هاجر، استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحوث العلمية في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية، مقال علمي، 2023.

اعداد الباحث حسوني محمد عبد الغني